Majallah Al-Qism Al-Arabi
University of the Punjab,
Lahore - Pakistan.
No.28, Issue: 2021

مجلة القسم العربي
جامعة بنجاب، لاهور– باكستان.
العدد الثامن والعشرون، 2021م.

في الحاجة إلى عولمةٍ للغة العربية

Impact of Quran and Hadith in Rasail-Ul-Noor by Badi-Ul-Zaman Saeed Al-Nursi

د. منير مهادي
كلية الآداب واللغات، جامعة سطيف2، الجزائر

Abstract

This research seeks to discuss a fundamental issue related to the effectiveness of the Arabic language in modern times, especially as it faces serious challenges in the context of globalization, which swept through everything, and changed many of the axioms related to the concepts of man, state, culture and thought, so that the world became a small village in the words of Marshall McLuhan, The boundaries between countries and continents and even knowledge and science, and in the light of all these changes, it is no longer useful to talk about the need to revive the Arabic language on its own, but it became urgent to enter into competition in order to occupy a position among languages, what is the relationship of language with globalization? What are the reasons for talking about the Arabic language in this era? Is it possible to talk about the globalization of the Arabic language?

Keywords: Arabic language, tongue, globalization, centrism.

الملخص:

يسعى هذا البحث إلى مناقشة مسألة جوهرية ترتبط بمدى فاعلية اللغة العربية في الزمن المعاصر، خاصة وأنّها تواجه تحدّيات جسيمة في ظلّ العولمة التي اكتسحت كل شيء، فغيّرت كثيرا من المسلّمات السابقة المتعلقة بمفاهيم الإنسان والدولة والثقافة والفكر، فكان أن أصبح العالم قرية صغيرة بتعبير مارشال ماكلوهان، وتماهت الحدود بين الدول والقارات وحتى المعارف والعلوم، وفي ظلّ كل هذه التغيّرات، لم يعد يجدي نفعا الحديث عن ضرورة انكفاء اللغة العربية على ذاتها، بل صارت الحاجة ملحّة إلى خوضها لغمار المنافسة لاحتلال مكانة بين اللغات، فما هي علاقة اللغة بالعولمة؟ وما هي دواعي الحديث عن اللغة العربية في هذا العصر؟ وهل يمكن الحديث عن عولمة للغة العربية؟

الكلمات المفتاحية: اللغة العربية، اللسان، العولمة، المركزية.

المقدمة:

اللغة مأوى الإنسان ومسكنه، حياته وموته، حقيقته وزيفه، هكذا فقط يمكن وصفها، وإن كانت في حقيقتها متفلتة، متمنعة، فإن قال قائل بأن هذا التوصيف للغة مبالغ فيه، لأنها –أي اللغة– لا تعدو أن تكون وسيلة تواصل بين جماعة البشر المنتمين إلى رقعة جغرافية واحدة، فإنّا نقول بأن الأمر الغُفلَ في هذا الكلام هو أن اللغة تفعل أكثر مما تقول، وتترك أو تصنع الأثر دون أن تزول. اللغة سرّ عظيم من أسرار الله، لا يعرف كنهها وحقيقتها إلا من طلب وُدّها، وتحاشى إغضابها، وظلّ الزمن الطويل يسائلها عن أسرارها.

اللغة صورة لحضارة الإنسان في هذا الوجود، بل اللغة هي الإنسان، والإنسان هو اللغة، كلاهما شيء واحد متى ما أبدع هذا الأخير وتميّز، وأعمر الأرض بالخير، علماً كان أم إبداعاً، حقّق للغة مرادها/وجودها، لأن اللغة موجود بالقوة/الممكن، ووجودها بالفعل مرهون بوجود ثان هو الإنسان/الفاعل، والذي بدوره ينتقل من عالم الممكن إلى عالم الوجود من خلال عقله/تعقّله

للحياة ومن خلال الأثر الذي يتركه فيها.

هذه المسيرة الحافلة، بكل أصناف العقبات الكأداء، هي مسيرة كل لغة/حضارة/إنسان، ولا سبيل لتلافيها إلا بمواجهة ما يحول بيننا وبين لغتنا وخوض الغمار، مجازفة حينا وحذرًا حينا آخر، علّنا نحقق المأمولَ. والمأمول للغتنا العربية هو أن تحافظ على كيانها وتشارك الإنسان، عربيا كان أم غير عربي حضوره في الوجود ونشاطه وأثره فيه وأن تُسهم في صنع الحضارة، أو على الأقل أن تكون في ركابهاَ.

ولما كان الأمر كذلك، جاءت مداخلتي بعنوان "في الحاجة إلى عولمة للغة العربية"، لأنّني أراها اليوم تنكفئُ على ذاتها خوفاً أو ضعفا، ولا سبيل لإخراجها مما تمور به – في تقديري على الأقل- إلاّ إذا عملنا على تصديرها للخارج بعد تصديرها وتثبيتها في الداخل؛ أن نُعرّف الآخر بها وبفاعليتها، وهذا لا يتحقق إلاّ بالمساهمة في العلم والمعرفة والإبداع، مساهمة قد تسمح بالتعرّف على اللغة العربية أكثر من طرف أهلها أوّلا ومن طرف الآخرين ثانيا، كما ستسمح بالضرورة بمحو الصورة السّيئة المتخيّلة عنها، بأنها عاجزة عن أن تكون لغة علم ومعرفة كما يزعم كثير من أهلها، ناهيك عن الآخرين.

فما هي دواعي الحديث عن اللغة العربية في هذا العصر؟ وما هي العلاقة التي تجمعها بالعولمة؟ وهل يمكن الحديث عن عولمة للغة العربية؟ أم أن هذا محض تحريف وتخريف؟ وهل العولمة شرّ كلّه؟ أم أنها خير كلّه؟ أم هل الأصح أن نقول إنّ العولمة شرّ لابدّ منه؟... أسئلة وأخرى سنحاول الإجابة عنها/نقاش بعضها من خلال هذه المقالة التي تقوم على العناصر التالية:

1 – اللغة العربية واللسان العربي.

2 – اللغة وفكر التمركز.

3 – أقلمة اللغة العربية.

4 – اللغة العربية والعولمة.

خاتمة.

1 – اللغة العربية واللسان العربي:

اللغة Langue كائن حي، له ما يميّزه ويحفظ له الوجود والثبات، يتأثر بما يوجد في الحياة ويؤثر فيها، لذلك انبرت العلوم المختلفة لدراستها تعريفا، وتحليلا، نقدا وتقييماً، وهذا منذ القديم، ومن بين هذه المعارف: الفلسفة وعلم النفس وعلم الاجتماع، وعلم اللغة، هذا الأخير الذي استفاد كثيرا من العلوم الطبيّة حيث قدّم رؤى موضوعية ودقيقة فيما يتعلّق بمفهوم اللغة والكلام واللسان.

وتتّفق معظم التعاريف المقدّمة للغة على طبيعتها الصوتية، والاجتماعية والنسقية، وأنها تخضع للتغيّر، وفيها جانب فطري وجانب مكتسب فـ"ابن جنّي" مثلا يعرّفها بقوله: "حدّ اللغة: أصوات يعبّر بها كلّ قوم عن أغراضهم"[1] أما دي سوسير De saussure فيرى بأنها: "نظام من الرموز الصوتية الاصطلاحية في أذهان الجماعة اللغوية، يحقق التواصل بينهم، ويكتسبها الفرد سماعا من الجماعة"[2].

وإذا كانت اللغة أصواتا تنتظم داخل نسق معين يجعلها تتحدّد دلالة وغرضا، فإن الكلام Parole هو الاستعمال الفردي لتلك اللغة، أو هو تجلّي اللغة لدى الفرد، ومنه فالكلام لا تحكمه قوانين اللغة ولا صفتها الاجتماعية. إنه استعمال حرّ للغة، وهذا ما يُصعّب ضبطه، ومعرفة كنهه. أمّا اللسان Language فهو أشمل من اللغة والكلام، أو هو اللغة والكلام في اجتماعهما، إنه القدرة اللغوية عند الإنسان بصورة عامّة.

تشترك هذه المصطلحات الثلاثة في بعض الأمور وتختلف في أخرى، إلاّ أنّ الفصل بينها فصلاً نهائيًا، وتحديد الحدود أمر صعب جدّا لما بينها من تداخل لذلك استعملت اللغة للدلالة على الكلام أو اللسان، والعكس حاصل أيضا وهذا راجع للتقارب الدلالي والتكويني بينها، فجميعها مصدرها في كثير من

الأحيان أعضاء النطق لدى الإنسان، كما أن حدّها أصوات تحمل معنى، تميز مجموعة بشرية عن أخرى، وربّما هذه الأمور هي ما توجِد الالتباس وتضيّق الفروق.

هذا وقد ناقش العلماء أصل اللغة، ومصدر نشوئها، فقال بعضهم بأنها "توقيف وإلهام"، ومعنى هذا أن الله عزّ وجلّ أوحى بها إلى الإنسان الأول "آدم عليه السلام" قال تعالى: ﴿وَعَلم آدَمَ الأَسْمَاء كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الملاَئِكَةِ﴾[3] وقال آخرون "بالاصطلاح والتواضع"، أي أن اللغة تمت مواضعة بين النّاس، غير أنّ هذا الرأي يعتوره نقص في التحديد، والسّؤال المعترض به هو:كيف تواضع الناس من دون لغة سابقة؟

أما الرأي الأخير فيقول بأنّ اللغة عبارة عن "محاكاة وتقليد" للأصوات الطبيعية المسموعة كخرير الماء، ومواء القطة وغيرها من الأمور.

ولمآ كانت اللغة العربية لغة من اللغات، فقد عُني بها أهلها وغَيرُ أهلها – خاصة في الفترة الأخيرة– أيّما عناية، لما لهذه اللغة من قيمة وأثر كبيرين داخل الساحة الثقافية المحلية والخارجية. ووصف اللغة بالعربية راجع إلى ارتباطها تاريخيا بفئة إنسانية تسمى بـ"العَرَب" وهم جماعة من البشر ترجع أصولهم إلى ثلاث طبقات "عرب بائدة" وهم الذين بادروا ودرست آثارهم، وصاروا خبرا مشّوها في الغابرين، فلم نعرف عنهم إلا أخباراً هي إلى الأساطير أقرب منها إلى التاريخ لولا ما ذكره القرآن الكريم عن بعضهم... مثل عاد وثمود..."وعاربة": وهم عرب اليمن وينتسبون إلى يعرب بن قحطان المذكور في التوراة باسم رياح بن يقطان، ويزعم العرب أنه أصل لسانهم... ولكن الحقيقة التاريخية تنفي هذا الزعم... ثم "مستعربة" وهم سكان شمال الجزيرة العربية ووسطها، وينسبون إلى إسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام، وكان قد نزل بالحجاز حوالي القرن التاسع عشر قبل الميلاد هو وأمه هاجر المصرية... وإلى العرب العدنانية يرجع الفضل فيما نتكلم به من لغة، وما نفاخر به من بيان، وما ندرسه من أدب".[4]

و"العربية" بما هي لغة هي جملة القواعد والقوانين التي يلتزم بها الإنسان العربي في كلامه وتأليفه، تتميّز عن باقي اللغات الأخرى ببعض الخصائص لعلّ أهمّها الإعراب والاشتقاق. والعربية بما هي لغة أيضا، وسيلة للتفاهم والتواصل، كما أنها وسيلة للتأثير والإقناع، بل والتفكير أيضا، وهي مرآة المجتمع العربي قديمه وحديثه، ترتبط بالأفراد فتعكس تحضرهم أو تخلفهم، إنها صورة الإنسان العربي في هذه الحياة.

إن اللغة العربية بهذا التوصيف تتجاوز الحدود الجغرافية الموجودة بين البلدان العربية، لذلك تنتقل اللغة العربية —من هذا المنظور– من كونها لغة إلى كونها لسانا، فاللسان العربي يُنظر إليه "باعتباره واقعا لسانيا ينتمي إلى مجموعة لسانية هي المجموعة اللسانية العربية التي تمتد على خريطة جغرافية شاسعة تضرب في العمق التاريخي للشعوب العربية"[5]

فاللسان العربي هو ما اختزنه وأخرجه الإنسان العربي – على مرّ الزمن– لغة وكلاماً، شفاهة وكتابة. هذا وقد روى الحافظ بن عساكر قال: "جاء قيس بن مطاطية إلى حلقة فيها سلمان الفارسي، وصهيب الرومي، وبلال الحبشي، فقال: هؤلاء الأوس والخزرج قد قاموا بنصرة هذا الرجل– يعني النبي صلى الله عليه وسلم– فما بال هذا وهذا؟ – مشيرا إلى غير العرب من الجالسين– فقام إليه معاذ بن جبل رضي الله عنه فأخذ بتلابيبه، ثم أتى الرسول صلى الله عليه وسلم فأخبره بمقاله ! فقام النبي صلى الله عليه وسلم مغضبا يجرّ رداءه حتى أتى المسجد، ثم نودي "الصلاة جامعة" فاجتمع الناس، فخطبهم صلى الله عليه وسلم قائلا: "أيها الناس إن الرب واحد، وإنّ الدين واحد، وليست العربية بأحدكم من أب ولا أم، وإنّما هي اللسان، فمن تكلم العربية فهو عربي".[6]

يبدو أن العربية لا ترتبط بالنسب وليست شيئا يورّث، وإنّما العربية هي اللسان، فمن تكلم لسانه العربية فهو عربي، وربّما أمكننا القول بأن من تكلم العربية لساناً وتشرّبها قلبا وعقلاً فهو عربي حتّى وإن كان فارسيا أو روميا أو حبشيا أو غير

ذلك. وبهذا المنظور اعتُبِر علماء العرب المسلمين القدامى من العرب كسيبويه؛ ومن هو في النحو، وابن سينا، والخوارزمي، وغيرهم.

وعلى الرغم من هذا التبسيط الظاهر في تحديد مفهوم اللسان إلاّ أنّ للأمر وجاهته وقوّته، فإذا كان اللسان كما عرّفه علماء اللغة المعاصرين هو القدرة اللغوية عند الإنسان بصورة عامة، القدرة على تعلم أي لغة مهما كانت، وإتقان قواعدها ونطقها مع حبّ هذه اللغة والمنافحة عنها ضد أعدائها، فهذا الإنسان ينتمي إلى تلك اللغة، فهو منها وهي منه، فهو عربي إن تكلم العربية، وإنجليزي إن تكلم الإنجليزية وهكذا.

وتأسيسا على ما تم ذكره نقول إنه من الواجب عند الحديث عن العربية في البلاد العربية أن نتحدث عن اللسان العربي لأنه يجمع ويوحّد العرب جميعا من خلال إحاطته بقواعد العربية المعروفة والمضبوطة، كما ويحيط بكلام هذه العربية حتى وإن اختلف من منطقة لأخرى، بقي أن نُخضِع هذا اللسان العربي المؤتلف والمختلف في آن للتحليل اللساني وغير اللساني حتّى نتبيّن جميع خصائصه واختلافاته، ونتبيّن سُبل الرقي به في عالم تتنافس فيه الألسن واللغات منافسة شرسة، ربما لم تعرفها من قبل.

2- اللغة وفكر التمركز:

اللغة عنصر فعاّل وقطب رحى في كل حضارة، ولم تغب عن هذه الأخيرة قيمة وخطورة اللغة، مساهمة في التأسيس وحفظا للإرث وصناعة للتميز والاختلاف، حتىّ إن الحضارة لا يمكن أن تكون من دون لغة على الرغم من أنه يمكن العكس، ولما كان الحال كذلك اهتمت الحضارات السابقة واللاحقة بلغاتها ودافعت عنها، وحاولت الرقي بها تعليما وتأليفا، فسجلت بها العلوم، ودرّست بها في دور العلم، وضبطت بها القوانين والتشريعات، ولم يُتنازل عنها في المحافل واللقاءات الدولية.. إلى غير ذلك من الأمور.

ولماّ كانت قوة الحضارة تتمظهر فيما تتمظهر فيه بقوة لغتها، عكست

كل حضارة تمركزا أو مركزية Logocentrism معينة تشي عن تفوق على الآخرين، وإحساس بالطهرانية والنقاء مع تشكيل صور مشوّهة ومزيّفة في كثير من الأحيان عن كل آخر لا ينتمي إلى جماعتها ومن بين التعاريف المقدمة للمركزية تعريف الناقد عبد الله إبراهيم، يقول هي:" تكثف مجموعة من الرؤى في مجال شعوري محدّد يؤدي إلى تشكيل كتلة متجانسة من التصورات المتصلة التي تنتج الذات المفكرة ومعطياتها الثقافية على أنها الأفضل، استنادًا إلى معنى محدّد للهوّية، قوامه الثبات والديمومة والتطابق بحيث تكون الذات هي المرجعية الفاعلة في أي فعل سواء باستكشاف أبعاد نفسها أو بمعرفة الآخر..."[7]

وعلى الرغم من أن فهم عبد الله إبراهيم للمركزية فهم يركز على أثر المركزية السلبي في كل حضارة إلاّ أنّ غايتنا من الحديث عنه هنا وعن علاقته باللغة هو أن نُبين عن الصلة الوطيدة التي تجمعهما، فإن كان التمركز يشوّه صورة الآخر، وينسج متخيلا تلفّه العجائبية والغرابة، ويُعلي –في المقابل– من شأن كل ما يتصل به صورة وإنجازاً، ديناً ولغة، فإن اللغة هي أهمّ ما يستند إليه ويحتمي وراءه، إنهما قطبان متفاعلان، يؤثر كلّ واحد منهما في الآخر، كما ويؤثران –سلبا وإيجاباً –على الحضارة التي ينتميان إليها.

وقبل الحديث عن اللغة العربية وصلتها بحضارتها قديما، وجب التعرف على شيء من تاريخ هذه اللّغة، نشأة وتطوّراً. تنتمي العربية إلى العائلة اللغوية السامية – نسبة إلى سام بن نوح عليه السلام– كالعبرية والسريانية والكنعانية والفينيقية والآرامية وغيرها من اللغات، "وعلى الرغم من أنّ اللغة العربية أحدث هذه اللغات ظهورا في التاريخ فإنها أرقى هذه اللّغات السامية جميعها، وأكملها نموا. وهي السبيل القويم لدراسة أي لغة من هذه اللغات؛ لأن فيها كثيرًا من خصائص الأم السامية الأولى... [كما أنّ] اللغة العربية لم تتعرّض لما تعرّضت له اللغات السامية الأخرى من الغزو الأجنبي".[8]

لا شك من أن العربية مرّت بأطوار من التهذيب حتى صارت إلى ما هي

عليه، فقد كانت اللهجات العربية كثيرة لدرجة يصعب حصرها وفهمها ولكن حدث تفاعل بينها بسبب تضافر أسباب عديدة كالجوار والمصاهرة والتجارة والأسواق والحجّ.. مما أدى إلى تهذيب اللغة، فتشكّلت لغة عربية يفهمها الجميع نقية من العيوب تلك هي لغة الشعر والخطابة والأمثال والحكم وهي اللغة التي نزل بها القرآن الكريم، حتّى أن النبي صلى الله عليه وسلم لما كان يدعو القبائل المختلفة في الأسواق والحج لم يكن يجد صعوبة في التواصل والتفاهم معهم، كما أن الأوس والخزرج – وهما من اليمن- استجابتا للدعوة الإسلامية وبهرتهما فصاحة وبلاغة القرآن الكريم فدخلتا في هذا الدين الجديد، وكل هذه الأمور تدلّ على انتشار هذه اللغة الموحدّة بين القبائل ومعرفتهم لها، على الرغم من محافظتهم على لهجتهم الخاصة.

وبنزول القرآن الكريم باللسان العربي المبين اكتملت صورة اللغة العربية وتوحّدت العربية بذلك في لغة فصيحة واحدة قائمة في الأساس على لهجة قريش التي كانت أفصح اللهجات لأنها أخذت منها كل فصيح وجميل فكانت لغة التواصل ولغة الإبداع، وأضاف القرآن لها ألفاظاً عديدة وأعطى لأخرى معانٍ جديدة، كما ارتقى ببلاغة التراكيب، وكان سببًا في نشأة أكثر من ستين علما من علوم العربية كما يذكر الإمام السيوطي في "الإتقان". وربّما يمكن القول بأن العربية بفضل القرآن وأمور أخرى صارت لغة ولم تبق لهجة، وإن كان بعض علماء العرب قديما قد استعملوا لفظتي لغة ولهجة للدلالة على الشيء نفسه كما فعل بن جني في "الخصائص" و ابن فارس في "الصاحبي" وغيرهما، فإن الاختلاف بينهما موجود، ولعلّ أهمّه وأوضحه هو أنّ اللغة أعمّ من اللهجة، حتّى أن الأولى قد تحوي لهجات عدّة.

يقول إبراهيم أنيس:"كان لابد لأولئك الشعراء الذين جاءوا من بيئات متباينة أن ينظموا شعرهم بلغة خالية من عنعنة أو عجعجة أو كشكشة، لينالوا إعجاب سامعيهم ولا يكونوا موضع سخريتهم وهزئهم، وإلا فكيف كان من

الممكن أن يفضّل شاعر على شاعر في تلك المناظرات إذا كان القياس مختلفا وأداة القول متباينة"[9] وهذا الكلام يصلح لأن يكون تفسيرا لقلة الشعر بمختلف اللهجات العربية القديمة وربّما غيابه لصالح تلك اللغة المشتركة التي أبدع بها الشعراء وتنافسوا، على الرغم من بقاء تلك اللهجات وسيلة للتخاطب داخل الحياة العامة.

ولما قويت شوكة المسلمين وتوسّعت أنظارهم إلى البلاد الأخرى، انتقلت العربية من مجرد لغة تواصلية، إبداعية إلى لغة دين وحياة، فكل من يدين بالإسلام ويؤمن بالقرآن العربي عليه أن يتعلم العربية ويحبها، قال الشافعي:"على كل مسلم أن يتعلم لسان العرب ما بلغه جهده، حتّى يشهد به أن لا إله إلا الله، وأن مُحَمَّدا عبده ورسوله، ويتلو به كتاب الله، وينطق بالذكر فيما افتُرِض عليه من التكبير..."[10]

بل إن تعلمها واجب شرعي على كل مريد تعلم القرآن والسنة والفتيا، يقول ابن فارس:"إن العلم بلغة العرب واجب على كل متعلق من العلم بالقرآن والسنة والفتيا بسبب حتّى لا غنى بأحد منهم عنه، وذلك أنّ القرآن نازل بلغة العرب، ورسول الله عربي فمن أراد معرفة ما في كتاب الله... وما في سنّة رسوله... من كلّ كلمة عربية أو نظم عجيب، لم يجد باللّغة بُدًّا".[11]

وكذلك قال الثعالبي وغيره من العلماء في ضرورة حب العربية وحبّ أهلها لأنه من حُبّ الله وحُب دينه. هكذا تشكلت مركزية العربية في تاريخنا القديم، وهكذا قويت شوكتها، وحُميت بيضتها ودُوفع عنها لأنها ارتبطت بشيء مقدّس هو كلام ربّ العالمين، فأصابها شعاع من ذلك التقديس والتبجيل فألّفت الكتب حولها؛ صوتاً وصرفاً، تركيباً ودلالة، فصارت العربية أفضل اللغات وأرقاها في نظر العرب والمسلمين، فتهافت الناس على تعلمها وإتقانها لأنها لغة الدين أولا، ولأنها لغة العلم ثانيًا، ولأنها لغة الحضارة العربية الإسلامية الصاعدة أوّلاً وآخرا.

وعلى الرغم من هذا فقد نبه وحذّر بن حزم مثلا من هذا التقديس المبالغ فيه في معرض ردِّه على من يزعم أنّ لغة ما ومنها العربية أنها الأفضل، يقول:" وقد توّهم قوم في لغتهم أنها أفضل اللغات، وهذا لا معنى له لأنّ وجوه الفضل معروفة، وإنّما هي بعمل أو اختصاص، ولا عمل للّغة، ولا جاء نص في تفضيل لغة على لغة، وقد قال تعالى: ﴿وَما أَرسَلنا مِن رَسولٍ إِلّا بِلِسانِ قَومِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُم﴾، و﴿فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾، فأخبر تعالى أنه لم ينزّل القرآن بلغة العرب إلاّ ليفهم ذلك قومه صلى الله عليه وسلم لا غير ذلك، وقد غلط في ذلك جالينوس فقال عن لغة اليونانيين أفضل اللغات... وقال قوم: العربية أفضل اللغات لأنه بها كلام الله تعالى، وهذا لا معنى له..."[12]

وإن كان لا مراء في شرف العربية وقيمتها، فإنه لا مراء أيضا من ضرورة فهم اللغة باعتبارها كائناً بشريا واجتماعيا بالطبع كما قال "جرجي زيدان"، كما لا مراء من أن قيمة اللغة من قيمة أثرها وقيمة حضورها في عالم التداول البشري، وهذا التركيز – من طرفنا- على اللغة في إطارها التداولي راجع إلى منظورنا الحديث الذي ما تزال فيه اللغة العربية لغة ديننا وقرآننا ولكنها تعاني الهزال والضعف!!

والسؤال الإشكال الذي يفرض ذاته هنا هو: ما هو سبب انتشار ورسوخ العربية في بعض البلاد حتّى أنها تعرّبت بالكامل كمصر وبلاد المغرب وسوريا، في حين ظلّت بعضها الأخرى محافظة على لغتها كبلاد فارس مثلا؟.

لم يغيّر المسلمون الفاتحون في بدايات الفتح الإسلامي لبلاد الفرس والروم من مذاهبهم ولغاتهم، ودواوينهم ولكن بعدما استتبّ الأمر للمسلمين، وصار الملك لبني أميّة (41هـ، 132هـ) حوّلوها جميعا إلى العربية "وكأنهم أدركوا علاقة الدولة باللّغة وأنها لا تتأيّد إلاّ بها، فعمدوا إلى تعميم لسانهم فلم يمض القرن الأول للهجرة حتّى صارت تُكتب كلّها بالعربية، فاضطرّ أهل البلاد إلى تعلم لغة أهل الدولة تسهيلا لقضاء مصالحهم كما اضطر من أسلم منهم إلى

تعلمها لأنها لغة الدّين..."[13]

وبمجيء العصر العباسي (132هـ-656هـ)، العصر الذهبي كما يسميه المؤرخون، هذا العصر الذي ارتقت فيه الحضارة العربية الإسلامية أيّما ارتقاء، وصارت فيه العربية حاضرة في كل مكان، فهي لسان حال هذه الحضارة، حتّى أنها استطاعت التغلّب على جميع اللغات المتاخمة لها من فارسية، وقبطية، وسريانية كما تغلّب العربي على باقي العناصر البشرية في مختلف البلدان، هذا ما ساهم في تثبيت مركزية العربية والعربي في ذلك الزمان، حتّى أن غير العربية كانت تسمّى باللغات الأعجمية وأهلها كانوا يُسمّون بالأعاجم، ولا يخفى ما في هاتين التسميتين من إحساس بالتفوّق والتعالي ووسم للآخر بالدونية والضعف، كما لا يخفى ما فيهما من صلة بلفظ العجماوات الذي يطلق على الحيوانات.

ولكن – ما لا ينبغي نسيانه وإغفاله ها هنا- هو أنّ الدّين الإسلامي الحنيف حرّم التمييز بين المسلمين، كما راعى الاختلاف بينهم، وذكر في مواضع كثيرة من أنّ الاختلاف هو سنّة الله في الكون، وأنه تعالى لو شاء لجعل الناس أمّة واحدة، يقول تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيم خَبِيرٌ﴾[14]. وقال أيضا: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْعَالمينَ﴾[15]

وإن كان قد ظهر ما بين اللغة وفكر التمركز من صلة، فلا ننسى الإجابة عن التساؤل الذي طرُح أعلاه، وهو: ما هي الأسباب وراء انتشار العربية ورسوخ قدمها في بعض البلدان حتى صارت لسانهم في كل شيء، ولم تقوَ على ذلك في بعض البلدان الأخرى على الرغم من أنها دانت بدين الإسلام كغيرها؟.

يرى أحد الباحثين –إجابة عن هذا السؤال- بأنّ السبب وراء هذا الأمر هو أنّ تفوق العرب على تلك البلدان لم يكن متماثلا، بل تباين باختلاف تلك

الأمم قوة وضعفا، فبعضها لم تكن فيها دولة تحكمها ولا مدنية تحافظ على ثقافتها فسهل اندماجها وذوبانها في العرب والعربية، ويظهر هذا جليا مع الأمم التي توالى خضوعها للسلطان الأجنبي كالسريان والروم في الشام والعراق، والأقباط[16] في مصر، والمغاربة في تونس والجزائر، كما أن ذهاب اللغات السامية أمامها ساهم في تغلّب العربية على لغات تلك البلدان، كما أنّ تكلمهم بلغات سامية تشبه العربية بل هي من أخواتها سهّل من مهمّة العربية في أخذ مكانها، وسهّل على شعوب تلك البلدان تعلمها، في حين قوّة بعض البلدان الأخرى ووجود دولة تحكمها وحضارة قائمة تميّزها، وبُعد لغاتها عن اللغة العربية حال دون تكلم أهلها للعربية وجعلهم يحافظون على لغاتهم وثقافتهم على الرغم من إسلامهم.[17]

هذا عن حال العربية وأهلها قديما؛ زمن الحضارة الإسلامية، فما هو حال العربية اليوم في زمن صارت فيه "الحضارة لا تتأتى لأحد إلاّ عن طريق اللغة. الحضارة في نوع من التعريف موجز، هي لغة، وعن طريق اللغة يكون التفكير كلّه، ويكون التفاهم كلّه، ويكون التواصل كلّه، ويكون التفاعل بين العقول والأفكار، اللغة هي أضخم عملية حضارية تنشئ الحضارة وتتمثّلها وتعبّر عنها... ولهذا فإن نموّ لغتنا وازدهارها وقيامها بدورها الفكري هو معلم من معالم حياتنا الحاضرة، وطريق أساسي من طرق بناء المستقبل"[18]

3– أقلمة اللغة العربية:

لم يدم ذلك التفوق العربي الإسلامي على الشعوب الأخرى، وانقطع حبله أو بدأ مع العصر العباسي الثاني إلى دويلات، واتُّخذت لغات أخرى للإدارة كالفارسية والتركية، على الرغم من أنّ العربية ظلّت لغة للعلوم والآداب، ولما استشرى الضَعف وعمّ مختلف العالم الإسلامي وتكالب عليه الأعداء ينهشون جسده، ويسلبونه معارفه، بدأ بريق المسلمين بالخفوت وبدأت العربية تضعف، ودخلنا في عصر الانحطاط والتراجع منذ ذلك الحين.

إن مشكلة ضعف اللغة العربية ليست مستقلة عن باقي المشاكل التي يتخبّط فيها العرب والمسلمون اليوم، لذلك وجب النظر إلى المشكلة نظرة شمولية، تضع الإشكال اللغوي في سياقه الصحيح حتى يمكن فهمه وحلّه.إنّ ضعف العربية سيؤدي بالضرورة إلى ضعف الكتابة والتأليف بها، وضعف هذه الأخيرة سيؤدّي إلى ضعف وقلّة المعرفة المتوفّرة باللغة العربية، وهذا –لا محالة– سيؤدّي بنا للبحث عن مصادر للمعرفة بغير لغتنا، وهذا هو الذي نعانيه اليوم في أجلى صوره. فكثير منا يفتخرون لإتقانهم واستعمالهم اللغات الأجنبية، حتّى صارت العربية عندهم نسيا منسيا، لا يكادون يستعملونها أو يذكرونها، لا لشيء، إلاّ لأنّ العربية في هذا الزمن لم تعد لغة العلم والمعرفة والحضارة، ونسوا بأنها بريئة من كلّ ما يزعمون أو يتّهمون !!

لقد بدأت العربية محكية، ووضع العرب الأبجدية قبل أربعة آلاف سنة قبل الميلاد، والفصحى هي أقدم صورة حيّة من اللغات السامية الأم، ذكر الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت170هـ) في كتابه "العين" أنّ مبلغ الأبنية في العربية ما يزيد عن "اثني عشر مليون لفظ"، على أنها في المجمل مهمل، حتّى أنه "بمقارنة جذور القرآن بجذور العربية وُجدَ أن مجموع جذور القرآن لا يزيد على 15% من جذور العربية (التي أحصيت بـ 11500 جذر في 12 قرناً)، وأنّ جذور القرآن هي المادة المستعملة في اللغة العربية من أول الإسلام حتى الآن وأنّ الـ 85% من لغة الجاهلية، هذه كلها أصبحت في مادة المعاجم، أماّ جذور القرآن الكريم فهي التي يجري بها فكر هذه الأمّة..."[19]

ويناقش الباحث مُحَمَّد مُحَمَّد داود اصطلاح "العربية المعاصرة" متسائلا عن مدى مطابقته أو انطباقه على اللغة العربية؟ وهل القول بعربية معاصرة يعني وجود عربية قديمة؟ وبالتالي فإنّ العربية في تطوّرها وتاريخها لها فترات متقطعة الأوصال، مثلما نجده في اللغة الإنجليزية؟ ويجيب بأنّ هذا المصطلح وإن انطبق على اللغات عامة فإنه لا يصدق على العربية فهي تمثل استثناءً فبالرغم من "أن

التطوّر سنّة جارية في كل اللّغات، وأكثر مظاهر هذا التطور يكون في الدلالات، إلا أن العربية ظلت محتفظة بكل مستوياتها اللغوية (الصوتية، الصرفية، النحوية، الدلالية)، وما تطوّر منها كان في إطار المعاني الأصلية وعلى صلةٍ بها، والمحافظة على الأصل الدلالي للفظ مع تطور الزمن له فائدة لا يستهان بها،فتواصل الفهم بين الأجيال للنصوص القديمة وتراث الأمّة أمر من الأهمّية بمكان ويزداد إدراكنا لأهمية الاستقرار اللغوي الذي تتميز به العربية إذا ما تأمّلنا التغيّر السريع الذي يلاحق الإنجليزية (لغة الحضارة والمعاصرة) فنصوص الإنجليزية القديمة التي مرّ عليها قرابة ثلاثة قرون أصبحت عصيّة على الفهم بالنسبة للإنجليزي المعاصر"[20]

وإن كان هذا الكلام لا يعني البتّة، عدم تطوّر العربية وتغيّرها في بعض الأمور كما أنه لا يعني عدم مرونتها، وبالتالي تقوقعها في قالب واحد طيلة هذه القرون وإنّما يعني أنّ العربية استطاعت –بتضافر أسباب عديدة وأهمّها القرآن الكريم– أن تحافظ على روحها وإن غيّرت جبتها وشكلها. فهي حافظت على قواعدها في ظلّ نموّها واستيعابها للجديد، ولو أنها غيّرت كثيرا في قواعدها لأحدث هذا فجوة بيننا وبين تراثنا القديم بتجلّياته المختلفة وكأنّنا نتعامل مع لغة أخرى غير لغتنا.

إنّ هذا الذي ذُكر أعلاه يمكن اعتباره ردّا على كلّ متحامل على لغتنا العربية، وهو غَيض من فيض، لأن للعربية خصائص كثيرةً تخولّها الاحترام والتقدير من الجميع إن لم تخوّلها التقديم والتفضيل، لكن هذا لا ينسينا الحالة التي صارت إليها عربيتنا اليوم، فنسبة أسهمها في السوق اللغوية ضعيفة بالمقارنة مع أسهم اللغات الأخرى. كما كان فشو اللحن سمة بارزة لا نحتاج لبحثها، دون أن ننسى تداخل العامية مع الفصحى، بل وحتّى استعمال بعض الألفاظ الأجنبية معرّبة عند الكلام، وصار العربي لا يهمّه التزام القواعد، بل إنه صار يمقتها لأنها صعبة وجافة، ولا دور لها–حسبه– سوى تعقيد الكلام، نظرة استهانة واستهزاء

ربّما لم تشهدها العربية من قبل؛هذه حالها.

يقول "إبراهيم اليازجي" في بحثه "اللغة والعصر" المنشور في "البيان" سنة 1897م إن "اللغة التي طالما وصفها الواصفون بأنها أغزر الألسنة مادة، وأوسعها تعبيراً، وأبعدها للأغراض متناولاً وأطوعها للمعاني تصويرًا، قد أفضت اليوم إلى حال لو رام الكاتب فيها أن يصف حجرة منامه لم يكد يجد فيها ما يكفيه هذه المؤونة اليسيرة، فضلا عمّا وراء ذلك من وصف قصور الملوك والكبراء، ومنازل المترفين والأغنياء وشوارع المدن الغنّاء..."[21]

على الرغم من هذا الوهن، إلا أن العربية في القرن العشرين عرفت حِراكا جميلا في حينه –لأنه لم يتواصل– فقد أنشئت الجامعات، بكلياتها المختلفة ومنها كليات الآداب وظهرت المجلاّت الأدبية والثقافية، كما تأسست مجامع اللغة العربية في كلّ من دمشق (1918)، وبغداد (1921م) والقاهرة (1932م)، وحققت كتب التراث العربي الإسلامي... وغيرها من الأمور، على الرغم من أن الاستعمار الأجنبي كان حجر عثرة أمام هذه الإنجازات لأنه فرض ثقافته ولغته على البلاد العربية مما أضعف الوضع العربي مرة أخرى.

ويبدو أن الإشكال الذي تعاني منه العربية اليوم، ليس إلاّ امتداداً للإشكال القديم، والذي لم يكن باديًا للعيان بسبب التفوق العربي في مختلف المجالات، لذلك يرى أحد الباحثين أنّ "من يجعل من الإشكالية اللغوية في الوطن العربي قصرًا على الوضع اللغوي الراهن قد ارتكب خطأً منهجيا ومعرفيا جسيما لأنّ هذه الإشكالية ذات أبعاد لسانية تاريخية خلفية قديمة قدم اللغة العربية نفسها، ثمّ ما لبث أن صار فضاؤها أشدّ رحابة وأكثر سعة من العربية نفسها، وأضحى من الصعب، بل من المستحيل أن يُهَيْمنَ على هذا الفضاء الشاسع..."[22]

معنى هذا القول أنّ معالجة إشكاليات اللغة العربية يجب أن تنطلق من بحث ومعالجة إشكالياتها منذ القديم، منذ أن بدأ العربي يقعّد القواعد وينظّر

للغة، فحسبه، قد تغاضى علماء اللغة عن كثير من الحقائق اللغوية، حتّى أنّ أبا الطيب اللغوي (ت 351هـ) ذكر أن "مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم لا نعلم بها إمَامًا في العربية"[23] كما أن "الجاحظ" في كتابه البخلاء يقول: "وإن وجدتم في هذا الكتاب لحنًا، أو كلاماً غير مُعْرَب، ولفظًا معدولا عن جهته فاعلموا أنّا إنّما تركنا ذلك، لأنّ الإعراب يُبْغض هذا الكتاب، ويخرجه من حدّه.."[24]

وهذا ابن فارس (ت 395هـ) يقول:"وقد كان الناس قديما يجتنبون اللحن فيما يكتبونه أو يقرأونه اجتنابهم بعض الذنوب. فأمّا الآن فقد تجوّزوا حتى إنّ المحدّث يحدث فيلحن، والفقيه يؤلف فيلحن، فإذا نُبها قالا: ما ندري ما الإعراب ! وإنّما نحن محدّثون وفقهاء، فهما يُسرّان بما يساء به اللبيب"[25]

كل هذه الأقوال تحتاج منا وقفة متأنّية، ومُراجعة لتاريخ تشكل اللغة العربية وفق القواعد النحوية والصرفية التي نعرفها اليوم، لأن التغاضي عن بعض أو كثير مما وُجد في العربية كان وراء أخذ النحو العربي هذه الصورة التي هو عليها الآن. فقد سأل سائل أبا عمرو (ت154هـ) فقال: "أخبرني عمّا وضعت مما سمّيته عربية، أيدخل فيها كلام العرب كلّه؟ فقال: لا، ثم سئل: كيف تصنع فيما خالفتك فيه العرب، وهُم حجّة؟ قال: أعمل على الأكثر وأسمّي ما خالفني لغات".[26]

إن هذا الكلام يدلّ على عدم استقصاء اللغويين العرب كل العناصر اللغوية استقصاءً شاملا، فقد تم جمع أشياء وإغفال أخرى، وهذا راجع لأسباب قد تُعرَف وقد تُجهل وما على الباحثين إلا الرجوع لبطون الكتب القديمة لكشف الأسباب وملابساتها، وتكملة المسار أو تصحيحه، علّنا نساهم في حل بعض ما تعانيه العربية اليوم.

وفيما يتعلق بالفصحى والعامية، يذكر الباحث السعيد بدوي أن اللغويين القدماء "ساعدوا دون قصد منهم على تحديد صفات لغتين لا لغة واحدة: اللغة التي تقع داخل الحدود، واللغة أو اللغات التي تقع خارجها، أو

اللغة الفصيحة وما عداها أو بعبارة أقرب إلى المتداول الآن، الفصحى والعامية"[27]

وربما الدليل على هذا الكلام أنّ بعض اللهجات العربية المعاصرة ما هي إلاّ امتداد للهجات العربية القديمة، مثل كسر حرف المضارعة في نحو: تِعلم، تِفْهَم وكان ذلك في قبيلة "بهراء".وإذا كنا نلمح بعض التقارب بين اللهجات العربية المعاصرة فالأمر راجع إلى الشعائر الدينية المشتركة كالحج مثلا والتبادل التجاري ووسائل التواصل الحديثة خاصة التلفاز (الأفلام والمسلسلات) والانترنيت والهوائيات المقعرة وغيرها. ويتلاشى هذا التنوع اللغوي العامي في حضرة لغة القرآن الكريم،فهي لغة التأليف والكتابة ولغة الخطابات الرسمية،وإن كان المستشرقون يحاولون دائما التأكيد على الفروق اللهجية العربية فهم ينسون أو يتناسون أن العربية متمثلة في القرآن الكريم توحد وتضيق الهوة بينهم.

وإذا أردنا أن نحدّد الأسباب والعقبات التي تقف وراء تراجع اللغة العربية في الزمن الحديث لصعب علينا ذلك، لكثرتها وتنوّعها، وهي ذاتية–داخلية وخارجية مفروضة. وننبه هنا إلى أنّ تجاوز وحل هذه العقبات الداخلية والخارجية هو السبيل لنا لإقامة اللغة العربية داخل بلدانها، وهو السبيل أيضاً إلى عولمتها وإعطائها بعدًا عالمياً.

نقول في البدء، إنّ العربية لما كانت قائمة على الشفاهة؛ أي لغة كلام استطاعت أن تحافظ على وجودها وصيرورتها داخل الساحة العربية عموماً، ولكن انتقالها يله اعتمادها على الكتابة وانصرافها عن التداول في العالم الإنساني خلق نوعاً من الفجوة والجفوة في آن، خلق فجوة بين قارئ العربية ومتكلمها، لأنّ العربية المكتوبة تختلف عن العربية المستعملة في الكلام، ويظهر هذا واضحا في عالم اليوم، كما خلق جفوة، ناتجة عن الفجوة، لأن الإنسان الذي تفصله مسافة عن الشيء الذي هو في الأصل جزء منه؛ لغته؛ سيحسّ بنوع من الغربة تجاهه، مما سيصعّب عليه تقبّله وتلقيه. وإن كان للكتابة قيمتها التي لا تُنكر في

حفظ العربية ومعارف الأمّة وتراثها، إلاّ أن هذا الانتقال – غير المدروس، والذي يحتاج إلى مراجعة وتقييم- كان سببا في حرمان العربية – ولو بنسبة حتّى لا نعمم- من مفعول التداول في الحياة، فاللغة المكتوبة لا يعرف مضمونها وقيمتها إلا من يحسن القراءة، نحتاج لأن نُولي أهمية للغة المسموعة أيضاً.

ضعف العربية اليوم لم يعد يقتصر على الأوساط العلمية فقط، بل صار يتواجد –للأسف- وبقوة حتى في الأوساط غير العلمية، بله وفي الأوساط التي تتّخذ من اللغة العربية وسيلة ومادة للدراسة كتخصّص الأدب العربي مثلا. ونحن إن لم نطالب بتعليم المواد العلمية باللغة العربية، فعلى الأقل وجب أن نجعل من مادة اللغة العربية مادة أساسية، على أن يكون تدريسها قائما على أمرين اثنين: أولاهما أن تدرّس قواعدها في مستوياتها المختلفة، وثانيهما أن تناقش داخل حصة الدرس نصوص عربية – مستوحاة من مؤلفات التراث العربي، ذات صلة بالتخصص الذي ينتمي إليه المتمدرسون، فيتعرفون العربية عند أهلها كما ويتعرّفون على تراثهم المجيد.

هناك من العرب من يتّهم العربية بالعقم والبعد عن الإبداع، وينسى بأن اللغة – كل لغة- تحمل بذرة الإبداع والتفوّق داخلها، فإن وجدت من يُخرج تلك البذرة ويزرعها في أرض طيبة، ويسقِها جُهدًا وإخلاصا وينتظر ثمرتها بعد حين،فهي ستؤتي أكلها بإذن ربها،فإن لم تجد فستظل في الانتظار. وربّما هذا الأمر هو سبب حماسة العربي اليوم للغات الأجنبية لأنها في نظره تمثل الحضارة والعلم، في حين تختزل العربية في إطار ضيّق يفقدها فعاليتها في الوسط الذي تنـوَجد فيه.

وبالإضافة إلى هذا وذاك صارت المؤسسات بمختلف توجّهاتها تشترط اللغة الأجنبية، وتؤكد عليها، وتقدّم محفّزات لمن يتقنها، في حين لم تعطِ قيمة ولا أهمية للغة العربية، وهذا أضعف كثيرًا إقبال العرب –الشباب منهم خاصة- على تعلم اللغة العربية، لذلك وجَب مراجعة هذه الشروط، وجعل الإلمام بالعربية

شرطاً لا تنازل عنه لطالب العمل.

الاهتمام بطرق تعليم اللغة العربية، لأنّ إشكالية التعليم من بين أهمّ وأصعب العقبات التي تُعكّر صفو العربية في الزمن الحالي خاصة وأن طرق تعليمها تولي أهمية كبرى للقواعد والقوانين النظرية وتغفل جانب الممارسة والتطبيق، وهو السبيل الفعال لتحسين الأداء اللغوي بالعربية.

أمّا علاقة اللغة العربية بالإعلام العربي، فحدّث ولا حرج، فهي علاقة يشوبها الالتباس، وتلفّها الضبابية، فهل هذا الإعلام وسيلة قويّة لنشر اللغة وتطويرها أم أنه وسيلة فعّالة لإضعاف اللغة وتحطيمها؟ يرى أحد الباحثين أنّ اللغة في الإعلام في موقف ضعف أمام قوّة الإعلام وجبروته، فهو يهيمن عليها ويؤثر فيها ولا تؤثر فيه، يستعملها ولا تستعمله، تظهر طيّعة ليّنة تسير في ركابه وتخضع لإرادته، ساهم في نشرها إلى آفاق بعيدةٍ، ولكنه كان سبب فشو اللحن والضعف في التأليف، فخلق بذلك لغة هجينة بين الفصحى والعامية مما أثّر سلبا على التواصل وعلى العقول وعلى جميع المجالات، والضرورة تقتضي أن يتكامل الطرفان، أن تخدم اللغة الإعلام، وأن يدعّم الإعلام مركز اللغة.[28]

واللغة العربية أخيرًا وليس آخرًا ليس لها في البلدان العربية ما يكفي من القوانين الحكومية التي تضمن لها حقّها، وتصون لها شرفها، وتحفظ لها مكانتها، فوَجَب أن يُجرّم كل من يسُبّ العربية ولا يحترمها وأن يعاقب عقابا شديدًا، فإن كانت إسرائيل تحرّم استخدام المصطلح الأجنبي في حال توفّر مقابل له بالعبرية، فالأحرى بنا أن نفكّر مليا في الحلول لمشاكلها-مشاكل لغتنا-، وأن نسعى جاهدين لتجسيدها، حتى نعيد من جديد الزمن الذي قيل فيه ذلك المثل: "عجبت لمن يدّعي العلم ويجهل العربية".

ومن بين السُّبل المقترحة للرقي باللغة العربية داخليا على الأقل، ما يلي:[29]

1. أقصر وأسرع السُّبل إلى تقويم اللسان العربي هو القرآن الكريم، ولا

يشترط هنا الحفظ، بل يشترط التلاوة الصحيحة على يد مجيدة للتلاوة.

2. إلزام المطابع والمؤلفين لمستوى التعليم الأساسي بكتابة النصوص مشكلة للقضاء على احتمالات النطق المختلفة للكلمة في غياب الشكل.
3. الاهتمام بالأنشطة اللغوية التي تعتمد على المشافهة، كالخطابة، وفن الحوار، وفن التقديم.
4. ضبط العبارات التي يتكرر استخدامها في الاجتماعيات المختلفة من عبارات التحية والتّهنئة والعزاء والمواساة، والطلب والشكر...
5. أخذ صحة الأداء في الاعتبار في الامتحانات الخاصة باللغة العربية وفروعها.
6. عقد دورات تمهيدية للمدرّسين تركز على معالجة الأخطاء في الأداء اللغوي وإكسابهم المهارة اللغوية، مع مراعاة كل المستويات اللغوية: صوتية، وصرفية ونحوية ودلالية.

إنّ هذه الاقتراحات وغيرها كثير، طال بها المكوث في أدراج المكاتب ورفوف المكتبات والمجامع اللغوية، حتّى أن مشكلة اللغة العربية – حسب تقدير بعض الدارسين- صارت واضحة وضوحا بيّنا، كما أن حلول تلك المشكلة المقترحة منذ زمن طويل واضحة هي الأخرى، إلاّ أن وضع العربية لم يتغيّر، إن لم يزدد سوءًا، وهذا "لأننا نتعامل مع المشكلة –تماماً- كالمريض الذي شخّص له الطبيب مرضه وحدّد له الداء ووصف له الدواء، فأتى المريض بالدواء ووضعه بجواره ولم يأخذ منه شيئا، فلم ينتفع به وظلّ يعاني من آثار مرضه"[30]

فحتى تعيد اللغة العربية تأقلمها في المحيط العربي، بعد هذه الغربة التي عانتها وتعانيها منذ زمن بعيد، وجب أن توضع كل المقترحات قيد المراجعة والتقييم، قبل القول بوضعها قيد التنفيذ، وإن كان الحال يحتم علينا الإسراع في

عملية الإصلاح اللغوي، وإلاّ ستفقد الأجيال العربية القادمة صلتها بالعربية وبالعرب !!.

4- اللغة العربية والعولمة:

سأبدأ من حيث أنهيت في العنصر السابق، هل مازلنا نحتاج لتوصيف حال العربية وأهلها؟ ألم تشخّص حالها منذ أمد بعيد؟ لماذا لا نرى تغيّرا في هذا الوضع؟ أليست الجهود تُبذل، والحلول تكدّس؟ ! أهو عدم التزام بالحلول المقترحة؟ أم هو بيان عن زيف تلك الحلول والمقترحات ؟ أو لعلي أقول بأنه ما دام حال العرب متخلفا ومترديا في النواحي جميعها، فإنّ حال اللغة لن يتغير ؟ ! هل نحتاج إلى قرار سياسي، وتطبيق يسهر عليه، حتّى ترى لغتنا النور من ديجور؟ هل استطاع الخطاب الاستعماري بعدّته المعرفية المتنوّعة أن يعيد تشكيل صورنا عن أنفسنا وبالتالي عن لغتنا؟ أم أنه زعم مبدأ الحتمية التاريخية الذي صدّقناه ففعل فعله في لغتنا وثقافتنا الحديثتين؟.

كل هذه الأسئلة وأخرى تنتظر إجابات مقنعة بعد انعام النظر فيها مليّا، لذلك كان من أهم مقولات علم النفس المعاصر هو أن تركز على حل المشكلة لا أن تركّز على المشكلة ذاتها، لأنّ التركيز على هذه الأخيرة سيعمل على تضخيم صورتها، وترسيخ وجودها حتّى تصبح عقبة يصعب أو لا يمكن تجاوزها، وهذا لعمري هو الذي حدث في جميع مراحل تعاملنا مع إشكالية اللغة العربية في العصر الحديث.

لا ننكر أنّ أولى مراحل التغيير أن تعرف الحال الذي أنت عليه، ولكنّ المشكلة أن تظلّ حبيس ذلك التعرّف، فتمعن فيه النظر حتى يصبح ذلك الحال داخلا في باب العادي أو المسلم به، وهذه حالنا نحن في التعامل مع لغتنا وإشكالاتها، فمنذ قرن أو أكثر، والتشخيص قائم والدواء مقترح ولا تغيير، حتّى أنّ بعض الباحثين وأكثر الناس العاديين أصابهم اليأس من تغيّر الوضع اللغوي، بل إن هذا التغيّر عندهم محض خيال سينتهي بكابوس.

ليس لنا أن نندب حظّنا، ولا أن نكرّر مقولة أنّ الغرب /الآخر يسعى لتغييب لغتنا بل وتدميرها بممارسته للإرهاب اللغوي ضدّها تشكيكا وطرحًا للبديل (العامية مكان الفصحى، كتابة العربية بالأحرف اللاتينية..)... وإن كان كل هذا الكلام صحيحا، إلاّ أنه لا يفيدنا في هذا المقام خاصة ونحن أهلها نعيبها ونظنّ الظنون بها، بل ونكيد لها !!

إن هذه القضية /الإشكال أعمق بكثير مما تبدو، لأنّ الذات الإنسانية بطبيعتها يعجبها أو يريحها أن تُلقي باللائمة على الآخر، فتنقص بذلك عن كاهلها عبء مراجعة النفس ونقدها، والاعتراف بالخطأ في حقّها، ولعلّني أزعم هنا، أنّ أولى المحطات وأهمّها على الإطلاق هو أن تقوم الذات العربية بهذه العملية –نقد ومراجعة المنجزات– في سبيل إيجاد مخرج أوّلي من وهم القدسية والصفاء المتخيّلين، لأنهما لا يفيدان الذات واللغة في شيء إذا كانا مجرّد فكرتين لم تخرجا من دائرة النظر لتصيرا إلى دائرة العمل.

وإذا كانت اللغة العربية قد أخذت قيمتها ومركزها في الحضارة العربية الإسلامية بسبب ارتباطها بالقرآن الكريم تحديداً، فإن العرب والمسلمين أفقدوها هذه القيمة بالأثر والحضور السلبي في الحياة الحديثة. فاللغة العربية بخصائصها وحِفظِ القرآن الكريم لها أمكنها أن تكون صالحة لكل زمان ومكان – فقد دامت أكثر من أربعة عشر قرنا من الزمان وما تزال. وبالتالي فهي لا تحتاجنا من ناحية، ولكنها –باعتبارها معطى إنسانيا، يرضيها أن تكون في يد إنسان يعرف حقّها، كما يعرف واجبه تجاهها، وتجاه ثقافته التي ينتمي إليها، كما لا يرضيها في المقابل أن تكون في يد عالة، كلٍّ عليها، يزيدها صمتًا وهي الكلوم، ويزيدها فقرا وهي الملأى بالكنوز.

لا ندّعي للغتنا العربية الكمال، ولا نزعم أيّ زعم يخرجنا من دائرة البحث العلمي، وإنّما الأمر متعلق بإمكانات هذه اللغة، اللغة العربية لم يكد العرب في العصر العباسي " يدخلون فيها لفظًا أعجميا، ولا اضطروا فيها إلى

وضع جديد ولكنها خدمتهم –حسب اليازجي– بنفس أوضاعها التي وضعتها العرب، فاشتقوا منها ما لا عهد به للعرب على وجهه الذي نقلوه إليه، ولم تتكلم به أصلاً، حتى أحاطوا بصناعة الفرس وعلوم اليونان، وأدخلوا كثيرًا من مصطلحات الأمم التي اجتاحوها شرقًا وغربا، وزادوا على ذلك ما استنبطوه بأنفسهم، واللغة مشايعة لهم في كل ما أخذوا فيه، لم تنصب مواردها دونهم، ولا رأينا من سكّانها عجزًا ولا تقصيرا..."[31]

كيف سيكون حالنا إن لم نمتلك لغة؟ ! إنه، ولاشك– حال الغائب عن هذا الوجود. إن اللغة نسق للعالم، حاملة للثقافة، إنها الحياة بمظاهرها المختلفة، لذلك يمكن الحديث عن اللغة العربية، باعتبارها كائناً متميّزا –من منظور شمولي– وهذا هو المطلوب منّا اليوم تحديدا– فاللغة العربية اقتصاد، وهي أيضا عمران، وسياسة، معتقد، كّل هذه التجليات تجسّد ثقافة العربي، أصالته أي فُرادته، وهذه الفُرادة من فرادة اللغة العربية.

يقدّر علماء الإناسة عدَد الثقافات بثلاث مائة ثقافة، وعدد اللغات بخمسة آلاف لغة مختلفة، والرهان الحقيقي أمام كلّ لغة هو في مدى إثرائها لنفسها من هذه الثقافة أو تلك، لذلك فعناية العربي المعاصر بثقافة الآخر، وبطرائق تفكيره، هي صورة لعنايتنا بذاتنا، بثقافتنا، بطرائق تفكيرنا، وهذه العناية وهذا الاهتمام منشأُه اهتمامنا باللغة؛ لغتنا العربية، ولغة الآخر. يجب علينا أن نضيء المناطق المعتمة في لغتنا حتّى يمكننا إضاءة واقعنا– حاضرنا وإضاءة لغتنا تكون بتفعيل دورها في ميادين المعرفة المختلفة، وأن نربطها من خلال دراسات شاملة بالمنجز الإعلامي (اللغة والإعلام)، والمنجز السياسي، والمنجز الاجتماعي، والفلسفي... لنشكّل نظرة دقيقة وكلّية للغتنا.

وإن كان من الصعب الحديث عن استقلال للغة، وللثقافة في زمن العولمة/الأمركة الغربية، إلاّ أنّ هذا هو التحدي الأصعب والأكبر الذي تواجهه لغتنا العربية اليوم. إنّ العولمة Globalization هي قمّة ما وصل إليه التمركز الغربي

تسعى لأن تجعل من العالم المختلف، عالما موحّداً، واحداً، ولكنها لم تترك مكانا للتمايز والتنوّع، وإنّما حاولت محق هذا التمايز، واحتواء الآخر، وذلك من خلال فرض نموذج ثقافي، وسياسي، واقتصادي ولغوي واحد، وهو في المبدأ والأساس نموذج غربي. وبهذا كانت العولمة توجّها يختزل العالم في مفهوم واحد، ولا يأبه بالاختلاف الإنساني.

هذا وقد استخدمت العولمة لتحقيق طموحاتها ومطامعها كل الوسائل المتوفّرة بداية بالقوة العسكرية ونهاية بالغزو الثقافي عن طريق الثورة التواصلية الهائلة، والتي جعلت من العالم، بتعبير "مارشال ماكلوهان "قرية كونية" صغيرة، جعلت من الإنسان يُغيّر نظرته للحياة وللعالم من حوله، فكل شيء قريب منه، ضغطة زر وأنت ترى ما يحدث في أقاصي العالم،هذه المظاهر وغيرها زعزعت العربي وجعلته يعيش نوعًا من الكابوس المخيف عند حديثه عن الغرب وعن تطوّره المذهل، وصارت اللغة الأجنبية (الإنجليزية تحديدا) لغة العلم والعلماء، لغة التحضّر والتقدّم، وصارت العربية خبر كان محذوف وجوباً. وأصبح بعضٌ من القوم يتبجّحون عند الكلام أو الكتابة ببعض الكلمات الأجنبية وكأنها موضة العصر، دون داعٍ علمي لذلك.

على رغم هذا وذاك لابدّ أن نعامل العولمة كفرصة فريدة للتواصل والفهم وهي بهذا ليست شرا كله، ولكن مع وعي مخاطرها ومغالطاتها. وإن كنّا نحتاج إلى عولمة للغتنا العربية فإنّ هذه الدعوى لا تتبنّى الأنموذج الغربي في مفهوم العولمة، وإنّما نقصد بالعولمة هنا معنى العالمية، والذي حقّقت منه العربية جزء لا يستهان به فيما مضى، بسبب توفّر أسباب كثيرة، ما يزال بعضها قائما إلى اليوم- ونقصد تحديدا الدين الإسلامي والقرآن العظيم منه بالخصوص- وتضافر جهود العرب والمسلمين من مختلف الأقطار لنصرة العربية والإعلاء من شأنها.

نحن نحتاج لنبعث روح العالمية في لغتنا من جديد، وأهمّ وأصعب منطلق لنا هو الدين الإسلامي الحنيف، فهو منطلق مهّم وسهل لأن كل معتنق لهذا الدّين مصدّق به مؤمن بأنه دين العالمين سيسعى للتعرف عليه أكثر بتعلم لغته التي نزل بها، قراءة وتدبّرا في آياته، وهذا سيسهم في نشر اللغة العربية وإعطائها صفة العالمية، لأنها اللغة التي خاطب بها الله عزّ وجلّ كل البشر، قال تعالى: ﴿إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآناً عَرَبِيّاً لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾[32]، وقال أيضا ﴿وَإِنه لَتَنزِيلُ رَبِّ الْعَالمينَ،نَزَلَ به الرُّوحُ الْأَمِينُ،عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ المنذِرِينَ،بِلِسَانٍ عَرَبِيّ مُّبِينٍ﴾[33]

وهو منطلق صعب بالمقابل لأن صورة الإسلام –كما عكسها بعض المسلمين وكما صوّرها الغربيّون بأكاذيبهم وتحريفاتهم –صورة مشوّهة وسيئة شكّلت لدى الغرب ما سمّاه بـ" عقدة الخوف من الإسلام" أو "الإسلاموفوبيا"، وهذا الأمر سيساهم سلباً في نشر العربية وربّما شكّل أو سيشكّل قياسا على المصطلح سابق الذكر "عربوفوبيا" أو "عقدة الخوف من العربية والعرب".

وإن كان "فيخته fichtes" قد قال من قبل " أينما توجد لغة مستقلّة توجد أمّة مستقلّة لها الحق في تسيير شؤونها وإدارة حكمها" فيجوز لنا القول – تأسيسا على الاشتراك الإنساني في قدر من الهويّات الكونية، كاستعمال الأصوات والكتابة للتواصل مثلا، بما أن المعرفة إنسانية حتّى وإن تمايزت واحتاجت للتصفية – بأن العربية هي لغة مستقلة بخصائصها وبما تحمله من ثقافة ومعرفة خاصة إلاّ أنها لا تخرج عن دائرة اللغة والثقافة الإنسانيتين، وهذا الكلام يصدق على اللغات جميعها، لكن ذكر هذا الأمر ليس مردّه أن نجعل اللغة العربية هي اللغة الوحيدة التي يتكلمها العالم، وإنّما الغاية أن نؤكد على قدرة العربية للوصول إلى مصافّ العالمية انطلاقا من عالمية الدّين الإسلامي، لذلك يمكنني أن أعدّل في عنوان هذه المداخلة قليلا بالقول:" في الحاجة إلى عولمة للغة العربية إسلاميا"، ليست فرضا بالقوة المادية، وإنّما فرضًا بقوة العلم والمعرفة عربيا (أي

بلغة عربية حتّى وإن لم يكن صاحب المعرفة عربياً).

إننا نحتاج لتغيير مسار تلقّي العربي والغربي- على السواء- للغتنا العربية حتّى نضمن لها تلقيا سليماً، خاليا من الالتباسات والمغالطات،فأغلب الصور السيئة المتداولة عن اللغة العربية ترجع في الأساس إلى تلقّيها من مصدر محرّف أو كاذب أو من حكم معمم أصبح بمرور الزمن من المسلمات وهو ليس كذلك. فاتهام قواعد العربية بأنها صعبة وجافة يرجع إلى الكيفية التي تلقى فيها هذا المتّهِمُ تلك القواعد، وهنا وجب أن تتضافر كل الجهود لتغيير هذا الحكم إثباتا وتفسيرا أو نفيا وتصحيحا؛ من دراسات الباحثين إلى المجامع اللغوية إلى الندوات والمؤتمرات إلى المسئولين في الدولة، الجميع مسئول عن تصحيح الفهم وتوضيح الرؤية.

كل الشعوب تريد أن تجعل من لغتها لغة عالمية، وتنفق لأجل ذلك أموالا طائلة وجهودا مضنية، حتى أنها تسعى لأن تقيم تحالفا لغويا مع البلدان الأخرى مثلما فعلت ألمانيا مع النمسا وسويسرا، وكما تفعل فرنسا في إطار توسيع لغتها وثقافتها في إطار منظمة الدول الفرنكفونية. فماذا عنّا نحن؟ هل نحتاج أن نقيم تحالفًا نحن أيضا؟ أم أنّ هذا التحالف موجود منذ ما يزيد عن أربعة عشر قرنا؟ !.

نعم هذا التحالف موجود طيلة هذه القرون، نحتاج لأن نُفعِّل دوره، ونستفيد من وجوده، لا اعتبار لهذا التحالف إن لم يكن له أثر في وحدتنا مع اختلافنا وتنوّعنا. فالتحالف التي ضمنه الدين الإسلامي يتجاوز التحالف اللغوي، الذي هو جزء بسيط فقط من التحالف الكلّي، وهذا لا يعني أبدا تناسي الفروق بين الدول العربية والإسلامية، وإنّما نقصد بأنه مادام الإسلام هو الذي يجمعنا، وهذا الدين دين دنيا وأخرى، وبالتالي فهو متضمّن لنُظُم الحكم والسياسة، والاقتصاد، والعلاقات الاجتماعية والإنسانية أي الخارجية... فالبلدان التي تعتنق هذا الدين تملك من الوشائج والروابط ما يؤهلها لأن تؤسس قوّة

لغوية (اقتصادية وسياسية...) كبيرة وهذا سبيل من سبل عولمة لغتنا العربية في العصر الحالي.

وعلى الرغم من أنّ الثقافات تتمازج ولا تتلاشى كما يذكر عبد الله إبراهيم[34]، إلا أن العولمة في مفهومها الغربي، والعولمة الثقافية منها بالتحديد حاولت محق الثقافات الأخرى واحتواءها، ومنها ثقافتنا العربية الإسلامية، وتأثيرها السلبي على ثقافتنا بائن ولا يحتاج لأن نمثل له، لكن بالرغم من كلّ ما تعرّضت له مازالت تحافظ على شيء من روحها وكيانها، وهذا دليل قوتها ومَنعتها، وهو الذي يدفعنا لنحتمي بثقافتنا بله لنحميها، ونسعى لتقويتها أكثر ولمَ لا نصنع مركزيتنا الخاصة – على الرغم من أن مدلول المركزية سلبي في كثير من جوانبه- مركزية تقوم على ما نملكه من خصوصيات، وتنفتح على ما هو إنساني مشترك، دون أن تسعى لتحطيم الآخر وثقافته ولغته.

قد نطالب بالحوار مع الآخر، مع العولمة، ولكن الحوار يستوجب الندّية، ونحن لما نصبح بعد كذلك، وإن كان مفكرو الغرب أنفسهم يقولون بالصِّدام[35] لا بالحوار!

وإذا كنا نريد للغتنا العربية التمكين في هذا العالم، فإنه من الواجب وضع الحلول المقترحة لحل إشكالاتها- والأصح إشكالات الإنسان العربي المسلم- بين يدي من يملك القرار وإلاّ فلا معنى لما نفعله.

قد يبدو الكلام فضفاضًا بعض الشيء، ولكن المقام لا يسمح إلا بما قلنا ونحن إذ نفعل ذلك لا ننسى أنّ بعض المقترحات للنهوض بالعربية -في ظلّ هذا الضعف العام الذي نعانيه- صعبة التجسيد واقعًا، ولكنّ الصعوبة لا تعني الاستحالة، فما قامت به المجامع اللغوية في مختلف البلدان العربية لا ينكر فضله، كما أن قيام جمعيات للدفاع عن العربية مثلما هو في الجزائر والإمارات العربية المتحدة له أثره، وجميل جدّا ما قامت به "المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة "الإسيسكو" في مشروعها لكتابة اللغات الأفريقية بالحرف

العربي، مما سيعزّز من مكانة اللغة العربية في هذه البلدان ويرفع من أسهمها داخل السوق اللغوية، ولا ننسى أبدًا أنّ العربية لغة رسمية لأكثر من عشرين دولة، كما أنها لغة 250 مليون ناطق بها، بالإضافة إلى الأقليات هنا وهناك عبر العالم.

لا يجب أن نفقد الأمل بخصوص مستقبل اللغة العربية مُطلقا، وهذا يستتبعُ منا مواصلة الجهود، والجود بكل ما هو موجود، نعم، نعي جيّدا مشاكل لغتنا/مشاكلنا، وإدراك المشكلة كما يقال هو أوّل السبيل إلى حلّها، نحتاج فقط لتكاثف القوى الفاعلة وغير الفاعلة لدينا لتطبيق الأفكار والحلول. أقول من هذا المنبر العلمي يكفينا كلامًا عن لغتنا، إنْ مدحًا أو ذمّا، أو توفيقاً، لغتنا تحتاج لأفعالنا، فما قيمة أن نقول بأن العربية لم تستخدم بطريقة كافية في المجال الرقمي؛ أهمّ منتج للمعرفة المعاصرة؟ وما قيمة أن نقول بضرورة استغلال الصورة (السمعية/البصرية) في صنع مرآة مشتركة لكل العرب حول اللغة العربية وذلك من أجل إعادة بعث/ أو إيجاد منظور موّحد أو على الأقل متقارب حول لغتنا عند جميع المتكلمين بها أو المنتمين إليها وحتى غير المنتمين؟ ما قيمة كل هذا إذا ظلّ حبيساً عالم الممكن ولم ينتقل إلى عالم الموجود؟ لا قيمة له.

الخاتمة:

لنتساءل في آخر هذا البحث، وإن كان من المفروض أن نقدّم نتائج وإجابات، هل كل الإشكالات والعقبات التي تواجهها لغتنا العربية تعانيها لوحدها فقط؟ ألا تعاني اللغات الأخرى –حتّى القوية منها– هذه التحديات والعقبات؟. إنّ الإجابة الموضوعية عن هذا التساؤل إيجابية، لأن اللغات جميعها ودون استثناء واحد، تواجه في مسارها تحدّيات عويصة وإشكالات يستعصي عليها حلّها، فاللّغة الإنجليزية وهي نموذج اللغة العلمية الراقية–كما ذكرنا ذلك من قبل– تتسارع بدرجة كبيرة إلى درجة أنّ أهلها صاروا يعانون صعوبة كبيرة في فهم النصوص القريبة من عهدهم، وصاروا يضطرون لترجمتها حتى تُفهَم، وهذا

لعمري إشكال كبير وتحدٍّ صعب قد تتجاوز خطورته كل خطورة محتملة، ولغتنا العربية —ولله الحمد– لم تواجه مثل هذا التحدي وإلاّ لكانت فقدت كثيرا من تراثها وحضارتها، ولكن وجب الحذر منه والاستعداد له، لأنه يظلّ خطرا محتملا.

ألا تعاني اللغة الفرنسية غبنا حقيقيا ؟ بسبب سيطرة اللغة والثقافة الأمريكيتين عليها، بعدما كانت فيما مضى لغة النبل والوجاهة عند الناطقين باللغة الإنجليزية أنفسهم، وإذ نذكر هذا المثال وذاك لننبه إلى أنّ الخطر محدق بلغتنا في أيّة لحظة، فلا نستكين لشيء، ولا ننسى بأنّ قيمة لغتنا مما تنجز وتحقق لا بما كانت عليه، فلكلّ زمنه، وكلّ مسئول عن عمله.

ما دام الحال كذلك فلا داعي للبكاء على الأطلال، وكأن اللغة العربية درست وامّحى أثرها، ولا داعي للاعتزاز —الزائد– بما أنجزت، فما تم انقضى وسجل حضوره وما هو آت آت. لغتنا تحتاج منّا لننطلق من حاجاتها وحاجات متكلميها في الزمن الحاضر، من تطلعاتها واهتماماتها بما هي كائن حي، كائن يتمسّك بالحياة، بإعمارها، ولا أخاله يتنازل عن ذلك ولو بشبر.

الحواشي والهوامش

1- ابن جني، الخصائص، ج1، تح: مُحَمَّد علي النجار، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ط3، 1986م، ص 33.

2- De saussure, F. courses in general linguistics, mcgraw-hill.1st ed.1965. p 16.

3- سورة البقرة، الآية30؛ ورواية ورش عن نافع، منار للنشر والتوزيع، دمشق، ط2، 1425هـ

4- حنا الفاخوري، منتخبات الأدب العربي، المكتبة البوليسية، بيروت، ط3، 1968، ص17–18.

5- عبد الحميد عبد الواحد، اللسان العربي: الحاضر والآفاق، ضمن: اللسان العربي وإشكالية التلقي، مجموعة مؤلفين، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط1، 2007، ص63.

6- على الرغم من أن هذا الحديث رواه الشيخ الألباني –رحمه الله – في السلسلة الضعيفة إلا أن شيخ الإسلام ابن تيمية–رحمه الله – ورغم إقراره بضعفه،قال بأن معناه ليس ببعيد بل هو صحيح من بعض الوجوه، وهذا فقط ما دفعنا للاستشهاد به هنا.

7- عبد الله إبراهيم، المركزية الغربية، إشكالية التكون و التمركز حول الذات. المركز الثقافي العربي. بيروت، ط1، 1997م، ص10.

8- حنا الفاخوري، منتخبات الأدب العربي، ص49.

9- إبراهيم أنيس، في اللهجات العربية. ص39 نقلا عن مُحَمَّد مُحَمَّد داود، العربية وعلم اللغة الحديث، دار غريب، القاهرة، 2001م، ص 69-70.

10- مُحَمَّد بن إدريس الشافعي، الرسالة، تح وشرح، أحمد مُحَمَّد شاكر، المكتبة العلمية، بيروت، بدون سنة، ص50.

11- أبو الحسين أحمد بن زكرياء بن فارس، الصاحبي في فقه اللغة وسنن العرب في كلامها، بيروت، 1964م، ص63.

12- أبو مُحَمَّد علي بن مُحَمَّد بن حزم، الإحكام في أصول الأحكام، مطبعة الإمام، القاهرة، بدون سنة، ج1، ص32.

13- عبد الفتاح عبادة، اللغة العربية وكيف كان انتشارها، الهلال، فبراير، 1919م، نقلا عن مُحَمَّد صالح الصديق، مستقبل اللغة العربية، بأقلام كبار العلماء والأدباء والكتاب في القرن العشرين، دار هومة للطباعة والنشر، الجزائر، 2007م، ص 178.

14- سورة الحجرات، الآية 13.

15- سورة الروم، الآية 22.

16- على الرغم من أن القبطية ليست من اللغات السامية، إلا أنها تركت مكانها للعربية، وهذا بسبب ضعفها وما تعرضت له من ضربات قاصمة من طرف اليونانية وهو ما سهل استبدالها بالعربية.

17- عبد الفتاح عبادة،مرجع مذكور، ص 180-181.

18- شكري فيصل، قضايا اللغة العربية، بحث في الإطار العام للموضوع، اللسان العربي (الرباط)، العدد 26، 1986م، ص17.

19- مُحَمَّد مُحَمَّد داود، العربية وعلم اللغة الحديث، ص245.

20- المرجع نفسه، ص ص: 23-24.

21- إبراهيم اليازجي، في اللغة والأدب، درس ومنتخبات، بقلم: فؤاد أفرام البساتني، دار المشرق، بيروت، ط4، 1982م، ص 165.

22- عبد الجليل مرتاض، في رحاب اللغة العربية، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2004م، ص43.

23- أبو الطيب اللغوي، مراتب النحويين. تح أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي، بدون سنة، ص155.

24- الجاحظ، البخلاء.دار الكتب العلمية، بيروت 2005.ص 50.

25- ابن فارس، الصاحبي في اللغة.ص 66.

26- الزبيدي أبو بكر مُحَمَّد، طبقات النحويين واللغويين، تحقيق: أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، مصر، ط2، 1973م، ص39.

27- السعيد بدوي، مستويات العربية المعاصرة في مصر: بحث في العلاقة بيم اللغة والحضارة، دار المعارف، القاهرة، 1973م، ص 40؛ ونقلا عن مُحَمَّد مُحَمَّد داود، العربية وعلم اللغة الحديث، ص254.

28- عبد العزيز بن عثمان التويجري، مستقبل اللغة العربية، منشورات المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة، إيسيسكو، 2004م/1425هـ.

29- مُحَمَّد مُحَمَّد داود، العربية وعلم اللغة الحديث، ص 268-270.

30- مُحَمَّد مُحَمَّد داود، العربية وعلم اللغة الحديث، ص266.

31- إبراهيم اليازجي، في اللغة والأدب، ص ص : 168-169.

32- سورة الزخرف: الآية 03.

33- سورة الشعراء، الآية 195.

34- عبد الله إبراهيم، المركزية الإسلامية، صورة الآخر في المخيال الإسلامي خلال القرون الوسطى. المركز الثقافي العربي، بيروت، ط1، 2001م، ص20.

35- نشير هنا إلى كتاب، صامويل هنتنجتون، صدام الحضارات.ترجمة مركز الدراسات الإستراتيجية والبحوث والتوثيق، بيروت، 1995م، ص1.

* * * * * *